رحلة مع الفرعون

رحلة مع الفرعون

رواية

محمد عبد الفتاح

تصميم الغلاف: حسن العربي

تدقيق لغوي :أنس محمد صادق

رقم الإيداع: 2333 /2020

I.S.B.N:978- 977-6640-73-3

الطبعة الأولى2020م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطربة، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

محمد عبد الفتاح

رحلة مع الفرعون

رواية

للنشر والتوزيع

1-البداية

دق جرس المنبه في الساعة السابعة صباحًا، فاستيقظ (محمود) في نشاط، وكان قد أعد نفسه للرحلة الجديدة التي انتدبته إليها الشركة التي يعمل بها مع صديقه ورفيق كفاحه (حازم).

نهض (محمود) سريعًا من سريره وكانت كل ذرة في كيانه ترقص طربًا بسبب الوجهة التي سيتجهون إليها في هذه الرحلة: (أسوان)

أخذ يدندن بأغنية مصرية شهيرة أثناء استعداده لارتداء ملابسه، وبعد أن أتم تجهيز حقيبته رفع سماعة هاتفه واتصل على رقم هاتف (حازم) الذي طال دق جرس هاتفه وبعد وقت طويل رد على الهاتف، وسمع (محمود) صوتًا ناعسًا يقول:

-السلام عليكم، من على الهاتف؟

رد عليه (محمود) بدهشة قائلًا:

-يا (حازم) إنه أنا (محمود) هيا استيقظ.

لوهلة لم يعِ (حازم) ما يتكلم عنه (محمود)، ولكنه ما إن صفا ذهنه تدريجيًّا حتى تذكر كل ما هما مقدمان عليه، والرحلة المنتظرة، والتي طال انتظار (حازم) لها، لأنها ستضيف لرصيده كثيرًا.

لحسن حظه أنه قد أعد حقيبة سفره الليلة السابقة، فلم يأخذ وقتًا طويلًا في إعداد ملابسه، فارتداها سريعًا وفي خلال نصف الساعة كان أمام منزله، ثم انطلق ذاهبًا إلى النقطة التي اتفق أن يلاقي فيها صديقه (محمود.)

***

تقابل الصديقان عند ميدان التحرير واستقلا وسيلة مواصلات متجهة إلى مطار القاهرة.

وأثناء ذلك، رن هاتف (حازم) المحمول فرفعه وأجاب قائلًا:

-السلام عليكم كيف حالك يا عم (محمد)؟

-أستاذ (حازم)، ما كل هذا التأخير؟؟؟؟

-آسفان على التأخير يا عم (محمد.)

-هيا أسرعوا لأن المدير يغلي من الغضب بسبب تأخيركما.

-شكرا يا عم محمد، دقائق ونكون عندك.

أكمل الصديقان طريقهما، وحين وصلا كانت الطائرة على وشك الإقلاع، فنزلا مسرعين لينهيا الإجراءات، وركب الجميع في الطائرة.

استقر الاثنان في مكانهما بعد أن اطمأنا على الفوج.

ووجدا المدير في انتظارهما.

أعد كلٌّ منهما نفسه لحملة تقريع واسعة، إلا أن المدير اكتفى بنظرة شاخصة لهما معًا وقال:

-تفضلا.

انطلقا مسرعين مبتعدين عنه حتى وصلا إلى الطائرة، وجلس كل منهما في مقعده.

وأقلعت الطائرة.

***

2 - وبدأت المفاجآت

انطلقت الطائرة بينما كان محمود يحاول أن يسترضي المدير على الموقف السخيف الذي وضع نفسه وحازم فيه، أثناء ذلك كان (حازم) يطالع الكتيب الخاص بشركة الطيران وبالأخص وسائل الأمان في حين حدوث أي مشاكل قائلا في نفسه: هي المرة الأولى لي أن أركب طائرة، وأتمنى ألا أواجه متاعب.

راح الاثنان في نوم عميق حتي وصلت الطائرة بسلام إلى أسوان ونزل الركاب ليستقلوا الحافلة التي ستوصلهم إلى الفندق الذي سيقضون فيه فترة الرحلة وبينما هما في الطريق لمدخل الفندق إذا برجل عجوز يقترب من (حازم) ويقول له:

-هل تسمح لي بدقيقتين من وقتك؟

ووضع له في حقيبته ورقة قديمة ومتهتكة وقال له:

-اقرأ هذه الورقة جيدًا، وإذا أبديت اهتمامًا بما هو مكتوب فيها، فقابلني في المعبد في الصباح الباكر

فتح حازم الورقة ليجد عنوانا بالخط الأحمر العريض، وترتيب للرموز غير مألوف.

والعنوان مكتوب به: (الرحلة الغريبة.)

اتسعت حدقتاه وأصدر شهقة عالية وحدث نفسه:

-ما الذي أراه بعينيّ هاتين؟؟

***

لم يصدق (حازم) ما كان مكتوبًا في الورقة وأخذ يفرك عينيه ربما يكون نائما ربما يحلم ولكنه وجد نفسه مستيقظًا وفي كامل قواه العقلية، ونظر إلى يديه ليجد الورقة مازالت في يده وتبدو أنها ورقة بردي قديمة جدًا ومكتوبة باللغة المصرية القديمة الهيروغليفية فهو يعرفها جيدًا ويجيد قراءتها، أخذ يقرأها ثانية وجد فعلًا مكتوب فيها الرحلة الغريبة .

)هذا هو المكتوب بالفعل في الورقة) قالها لنفسه في قلق وتوتر شديد فاق حتى فضوله في قراءة باقي الورقة، فثناها ووضعها في جيبه وأخذ يفكر، هل يخبر محمود بما حدث؟ هل يذهب غدًا إلى المعبد أم لا.

وبعد طول تفكير، أحس بصداع شديد وأنه متعب جدًا، قرر أن ينام فهو يعلم أن النوم يساعد على التفكير

بصفاء، وبعدها يقرر ماذا سيفعل هل سيخبر محمود أم لا وهل سيذهب إلى المعبد أم لا.

بعدما استيقظ من النوم قرر أنه لن يخبر (محمود)، لن يصدقه أحد ولا حتى (محمود)، ربما إذا أخبر أحدا يتهمه بالجنون، وكان أمامه خياران: الأول أن يذهب إلى المعبد ويخوض المغامرة وهو أمر طالما حلم به، ولكن له عواقبه طبعا، والثاني أن ينسى ما حدث ويكمل رحلته وحياته كأن شيئا لم يكن.

ولكن فضوله وحبه للمغامرة غلباه فقرر أن يخوض المغامرة، وذهب إلى المعبد في الموعد المحدد ليجد المفاجأة.

***

وصل (حازم) إلى المكان المتفق عليه داخل المعبد وهناك وجد العجوز يجلس عند أحد الأعمدة داخل المعبد فذهب إليه ولكنه بمجرد وصوله دار حول العمود فتبعه (حازم) وعندها رأى المفاجأة.

رأى (حازم) العمود من الخلف وقد نقش عليه من هذه الناحية نقوشًا بدت مألوفة له إلى حد كبير، أخذ يعصر ذاكرته وبكل قوة، وفجأة تذكر، إنه نفس النقش الموجود على الورقة التي سلمها له نفس العجوز

"اتبعني"

انتزعه العجوز من دهشته وذهوله فتبعه داخل الصالة الأولى للمعبد وأخذ يتابع ببصره تماثيل (أوز وريس) الموجودة داخل الصالة وأثناء متابعته تعثر فوقع على الأرض وأثناء نهوضه لمح واحدًا من النقوش الموجودة في الورقة، وقال: مهلًا، إن هذا النقش هو الأول في الورقة.

وانطلق مهرولًا نحو الذي يليه معتقدًا أن يجد الترتيب كما في الورقة ولكن، ما إن وصل إليه، لم يجد عليه أي نقوش، واتجه للذي يليه والذي يليه إلا أنه لم يجد شيئًا يذكر، وفجأة اختفى العجوز عن نظر (حازم)، فأخذ يبحث عنه في جميع الاتجاهات وكان الضوء بدأ يخفت تدريجيًّا، وكأن (حازم) يشعر بحدوث هذا، فأحضر معه كشافًا فأخرجه من حقيبته وأخذ يديره في جميع الاتجاهات وفجأة وقعت عينه على جزء مختلف عند ضوء المصباح فاقترب منها في حذر وأخذ يتحسسها وصوّب ضوء المصباح وكان ما تمنى، النقش الثاني، التقط نفسًا عميقًا واختمرت في ذهنه فكرة أن طالما النقوش بهذا الترتيب تقود إلى شيء ذي أهمية.

وقال في نفسه:

-طالما هناك سر. مؤكد أن النقوش تقود إليه.

ووجد نفسه بلا وعي ينادي قائلًا: أيها العجوز. أين أنت؟

ولكنه حسم قراره سريعًا متجهًا إلى نفس الطريق الذي وجد فيه النقوش وأخذ يدير المصباح في جميع الاتجاهات آملًا أن يجد نقشًا آخر. اعتصر (حازم) ذاكرته ليتذكر الرمز وقد كان نسرًا فرفع رأسه ناظرًا نحو رؤوس التماثيل ووجد بغيته ولكنها على الناحية اليسرى من الصالة فاتجه نحوها وأخذ يتأملها وقد كان النسر يوجه جناحيه نحو الصالة الثانية.

دخل (حازم) الصالة الثانية وأخذ يتابع ما قد رُسم من حروب رمسيس الثاني ضد الحيثيين وتابعها بنظره حتى استوقفه أحد الرموز فاقترب ودقق النظر فيه لفترة وتذكر موضعه على الورقة ونظر إليه فقد كان النقش عبارة عن بومة شهيرة للفراعنة.

ولكن كان منقارها يشير إلى الجنوب الغربي، فاتجه نحو المكان الذي يشير إليه المنقار فأدار ضوء مصباحه إليه فوجد النقش الذي يليه:

الثعبان...

وقد كان ثعبانًا متموجًا، فأخذ يتابع تموجات الثعبان بضوء مصباحه إلى أن وصل للنقش التالي وقد كان نقش اليد، ولكنه كان بوضع عمودي فنظر نحوه ثانية واتبعه ببصره ونظر معه للأعلى فوجد نقش الجعران وقد أشارت قوائمه الأمامية نحو جزء من سطح المعبد وما إن نظر إلى

ذلك الجزء سرت في جسمه ارتجافة عنيفة، لأن ذلك الجزء هو أكثر الأماكن أهمية في المعبد:

قدس الأقداس...

ونظر ثانية للسقف وهو مدرك تمامًا أنه ينقصه نقش واحد ولكنه لا يتذكره وستشرق شمس الحقيقة على ذلك السر، توقف ذهنه فجأة وقال:

نعم هي، هي الشمس.

ونظر ثانية ووجدها، فقد كانت الشمس تطلق أشعتها كما كان النقش نحو قلب قدس الأقداس، وكاد قلب (حازم) يتوقف من شدة الفرحة.

دخل (حازم) إلى قدس الأقداس وقال لنفسه: يا إلهي. كم هذا رائع.

) -إنه كذلك بالفعل(

التفت (حازم) إلى مصدر الصوت وبكل حدة، ونظر إلى محدثه ولم يتمالك نفسه فما أن رآه حتى ارتفعت دهشته إلى الحد الأقصى، وسقط فاقدًا الوعي.

فقد كان من يقف أمامه شخص لا يمكن تواجده في حياتنا على الإطلاق، فقد كان (رمسيس الثاني) بنفسه.

***

3- الفرعون

أخذ (محمود) يتحرك في عصبية داخل الغرفة المخصصة له ولـ(حازم) ومديره ينظر إليه ثم قال:

-حافظ على هدوءك. أعتقد أنه كعادته يتجول هنا أو هناك. صبرًا وإن شاء الله سيعود.

شرد (محمود) بتفكيره بعيدًا وبدأ يجمع فتات أفكاره.

حلم (حازم) العجيب.

ولقاؤه برجل عجوز توقف معه دقيقتين.

ورجوعه بوجهٍ متجهم.

وانطلق بأفكاره بعيدًا وتسائل، من يكون هذا العجوز ولمَ جاء ولمَ تكلم مع (حازم) تحديدًا؟

ولكنه لم يتوصل لحلٍ منطقي.

قطع المدير عليه تسلسل أفكاره قائلًا:

-لا تنسَ يا محمود أن اليوم سيكون هناك لقاء مع السياح الإيطاليين في أول تعامل لنا مع الأفواج المعروضة علينا.

التفت إليه (محمود) دون رد فعقب المدير قائلًا:

-سيكون في تمام الرابعة عصرًا، استعد.

نظر (محمود) إلى ساعته وانعقد حاجبيه في عصبية بالغة فقد كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عصرًا، مما يضعه هو وزميله في موقف حرج للغاية.

فأمام (حازم) نصف ساعة تقريبًا للحاق بالفوج.

وإلا سيضطر الفوج للبدء بدونهما.

والمعروف أنهما يشكلان فريقًا، مما سيثير الريبة، خاصةً وأن الكل رأى (حازم) منذ أن أقلعت الطائرة.

والذي زاد قلق (محمود) هو أن هاتف (حازم) كلما اتصل به يعطي رسالة أنه خارج التغطية، مع أن أسوان مدينة ذات تغطية عالية في شبكات الهاتف.

نظر (محمود) ثانيةً في ساعته وكانت تشير إلى الرابعة إلا ربع.

وكاليائس، اتصل بـ (حازم) للمرة الأخيرة.

وارتفعت دقات قلب (محمود) للذروة.

إذ كان هناك صفيرًا متقطعا يوحي أن التغطية ظهرت.

وانتظر أن يجيبه (حازم.(

ومع مرور الوقت كانت ضربات قلب (محمود) تتزايد وتتزايد.

ولكن آمال (محمود) انهارت فجأة بانتهاء ذلك الصفير بآخر متصل يوحي بأنه ما من مجيب على الناحية الأخرى من المكالمة.

وأعاد المحاولة.

ونفس الرد.

ودقت الساعة معلنةً تمام الساعة الرابعة...

عدل (محمود) من هندامه وقال في نفسه:

-أتمنى ان يعيدك الله إلينا سالمًا يا (حازم.(

وخرج من الفندق متجهًا نحو الأتوبيس السياحي الذي سينقله إلى مكان الفوج السياحي، وبعد دقائق عشرٍ، امتلأ الأتوبيس السياحي بالسياح الإيطاليين وكان (محمود) يراجع لغته الإيطالية في الطريق.

وأثناء السير، أخذ (محمود) يتتبع الطريق، وأخرج الخريطة الخاصة بالمدينة وأخذ ينظر فيها، وكان الطريق الذي يمشون فيه هو طريق المعبد الأكبر،

معبد (أبو سمبل.)

***

انطلق الأتوبيس السياحي ويحمل على متنه الفوج السياحي الذي كان المفروض على (حازم) التواجد فيه، وكان (محمود) يتلقى الاستفسارات بمنتهى السهولة من أفراد الفوج على الآثار الموجودة على الطريق، وبمرور الوقت بدأ التوتر الذي كان باديًا على وجهه في بداية الرحلة يتلاشى رويدًا رويدًا، توقف الأتوبيس السياحي عند المكان المخصص له عند بوابة المعبد. وبدأ السياح في النزول منه متجهين إلى المعبد، وقد حمل كل منهم جهاز التصوير الخاص به وباقترابهم أكثر من أعمدة المعبد، انطلق ضوء مبهر تلته صرخة مدوية.

التفت الكل إلى الصرخة، وامتقع وجهان من الأفراد الموجودين في الفوج، لمعرفتهم ذلك الصوت جيدًا، فقد كان الصوت هو صوت (حازم). ترك (محمود) كل من كان معه وهرول كالصاروخ نحو مصدر الصرخة وقد كان مصدرها هو البهو الداخلي للمعبد وهو أشد الأماكن ظلامًا داخل المعبد ولكنه لحسن حظه تصادف أن ذلك اليوم هو21 أكتوبر، أنيرت القاعة بنور الشمس، وبالذات على وجه تمثال "رمسيس الثاني" الكائن داخل المعبد وانطلقت انعكاسات الأشعة في جميع اتجاهات القاعة ملقية ً الضوء

على قصاصة ملقاة على الأرض وقرأ (محمود) ما فيها سريعًا وكانت تحمل نفس الكلمتين الغامضتين.

***

السر الأكبر

دار (محمود) حول نفسه كالمجنون وأخذ يسترجع كل ما حدث منذ بداية الرحلة إلى آخر مشهد رأى (حازم) فيه، وتذكر الرجل العجوز، وطرأت على باله فكرة، بدت في البداية مجنونة للغاية، إلا أنها في ظل الظروف المحيطة بدت منطقية للغاية. خرج من البهو الذي فيه التمثال ولمحه يقف بعيدًا، فانطلق وراءه كالصاروخ وما إن وصل عنده أمسك بتلابيبه وقال له:

-أين (حازم)؟ماذا فعلت به أيها المأفون؟

لم يهتز العجوز وقال في صوتٍ عميق ارتجت له أوصال (محمود):

-عندهم.

تمالك (محمود) رباطة جأشه وسأله عمَ يعني بهذه الكلمة وعندما أجابه، كاد (محمود) يفقد الوعي من الترجمة.

لأن ما يعنيه العجوز كلام لا يخضع لا لمنطق ولا لواقع على الإطلاق.

***

تملص العجوز من بين يدي (محمود) الذي كان ممسكا بتلابيبه وقال له:

-كما بيّنت لك، من الواضح أنه ذهب إليهم، وأعتقد أنها فجوة زمنية قد فتحت بيننا وبينهم و...

سكت العجوز ولم يكمل، وبدا أنه يعصر ذاكرته للتذكر وفجأة برقت عيناه وتهللت أساريره وقال:

-ما زال هناك أمل لإنقاذ صديقك.

شحذ (محمود) كل انتباهه نحو العجوز الذي قال:

-قرأت في يومٍ ما أن في أحد الأيام سيأتي فتى وسيم الطلعة وسيبحث عن الأسرار الدفينة للحضارة المصرية - وقد جربت منذ سنين مع أشخاص عديدين توسمت فيهم الملامح المطلوبة لما قرأت إلا أنه لم يصدقني أحد إلا صديقك- ولكن ما قرأته كان يقول أن الفجوة الزمنية لا تفتح إلا بشرطين; أولهما، تعامد الشمس على وجه التمثال هذا، وأشار بيده نحو تمثال (رمسيس الثاني) وأخذ نفسًا عميقًا وأكمل:

-أما الثاني فهو تتابع الرموز على قدس الأقداس كما فعل صديقك بالمصباح على الرموز.

جاء صوت المدير حاملا نبرات الرعب وهو يقول:

-ولكن أين الأمل؟

ابتسم العجوز وقال:

-الفجوة تُغلَق مع غروب الشمس.

برقت عينا (محمود) بكل الحماس وقال:

-ماذا؟

انطلقت أفكار (محمود) كالصاروخ وسأل العجوز بغتةً:

-أين الفجوة؟

التفت إليه العجوز وقال له:

-هذا هو التفكير السليم بالرغم من خطورته، ولكن للأسف، لا أعلم.

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا في الوقت الذي تساءل المدير قائلًا:

-ماذا يقصد هذا المأفون؟

رد (محمود):

-الموضوع بسيط، الفجوة تفتح مع تعامد الشمس على وجه (رمسيس الثاني) في يومين من ذلك العام الغريب، الأول هو الثاني والعشرين من ذلك الشهر، والثاني هو الثاني والعشرين من شهر فبراير، بمعنى أن لدينا فرصة ثلاثة أشهر إذا ما استطعت الوصول إلى هناك.

سأله المدير:

-وكيف هذا؟

-الفجوة ستغلق مع غروب الشمس وهو ما يعني أن أمامي بالضبط عشرين دقيقة للحاق بالفجوة قبل أن تنغلق تماما ويضيع الأمل في استرداد (حازم) للأبد.

مشى (محمود) نحو قدس الأقداس ونظر نحو التمثال وقال له:

-تُرى أيها الفرعون العظيم. هل ستقودني نحو الفجوة؟

أغمض عينيه وبدأ يتخيل نفسه في موقف (حازم) واستغرق منه ذلك سبع دقائق كاملة، أخذ يرتب فيها الموقف بالكامل وفتح عينيه فجأة وقال:

-هذا هو الحل.

ونهض من مكانه متجها نحو المكان المجاور لقدس الأقداس في الوقت الذي ركض وراءه المدير، واستدار (محمود) وراء العمود الكبير الموجود بجانبه وهناك وجدها

تتلألأ وكانت عبارة عن شق طولي يتناقص تدريجيًا متجهًا نحو منتصفه، رجع (محمود) عدة خطوات للخلف ثم ركض نحو الفجوة وقفز بداخلها.

انطلقت شرارات عنيفة من مكان الفجوة وغشي الجميع ضوء مبهر للمرة الثانية في أقل من ساعة وأغمض الجميع عينيه وبعد أن استطاع الجميع فتح عينيه، كان المكان يحتوي على المدير والعجوز فقط.

هز المدير رأسه في أسى:

-فلتعدهم يا إلهي سالمين بإذن الله.

***

4- الماضي

دقت الساعة معلنة السادسة مساءً، موعد أحد الفترات الإخبارية في ذلك الحين، في الوقت الذي تم الإعلان عما حدث في معبد (أبو سمبل) وتناولت الأقوال المتضاربة هنا وهناك، وفي أحد الفنادق بأسوان كانت شاشة التلفاز مضاءة وعليها إرسال أحد القنوات والتي تكفلت بمتابعة الحدث وكانت به مراسلة شقراء والتي قالت:

-لا أحد يعلم ما سر هذه الأضواء المبهرة والتي أنارت معبد (أبو سمبل) بعد أن تعامدت الشمس عليه في ذلك اليوم الثاني والعشرين من شهر أكتوبر وخاصة أن كل شهود العيان أجمعوا على أن ذلك الوميض المبهر قد تكرر بعد المرة الأولى بفترة لا تزيد عن نصف الساعة ويروي بعض الشهود عن وجود أسرار فرعونية وزاد غموض الموضوع عدم تدخل الأمن نحو الموضوع من قريب أو من بعيد، لغز جديد يتواجد أمامنا وندعو الله ألا يكون وراء الأمور الخفية كارثة.

أمام التلفاز كان الجالس يزفر في ضجر وأغلق التلفاز عن طريق جهاز التحكم عن بعد وقال:

-صدقتِ. ندعو من الله ألا تكون هناك كارثة في انتظارنا.

وسمع طرقات منتظمة على الباب فقال:

-تفضل بالدخول.

دلف إلى الحجرة شاب أسمر وتبعه شابين تحمل قسماتهما الذكاء، وقال الشاب الأسمر:

-هؤلاء هم البديلين، سيدي المدير.

تنهد المدير في أسى وقال:

-لا بديل لنا عن هذا.

وأشار إلى مساعده وقال له:

-اتركنا وحدنا.

خرج الشاب وأغلق الباب خلفه تاركًا المدير يشرح للوافدين الجديدين ما سيفعلانه.

***

شعر (محمود) بموجات ارتجاجية تكاد تمزق أوصاله وهو ينزلق داخل تجويف الفجوة ورأى نور الشمس يشرق أمامه من جديد ثم سقط على أرض عليها عشب كثيف،

فنهض مسرعًا داعيًا ربه ألا يراه أحد، انطلق (محمود) نحو أقرب منزل وكان ما يراه هو قصر مهيب مترامي الأطراف، وفهم (محمود) أين هو بالتحديد، وما إن اقترب من ذلك القصر حتى سمع أصوات متشابكة وأصوات ركض فاقترب أكثر وأكثر ولكنه توقف شاعرًا بوخز خفيف في ظهره، فأدار رأسه فوجد أحد الحراس ينظر له في غضب ويشير له برمحه متكلمًا بكلام لم يفهم منه (محمود) حرفًا واحدًا ولكن كل تفكيره تركَّز نحو هدف واحد:

الهرب...

ركض (محمود) بكل قوته عائدًا نحو منطقة العشب، في البداية ألجمت المفاجأة رجل الحراسة ولكنه تغلب على الموقف ببراعة، فنادى على مجموعة من الحرس مشيرًا إلى (محمود) فانطلق وراءه خمسة من الحرس وأثناء ركضه، لاحظ (محمود) أن هناك مجموعة من الحراس تحيط بشخص عرفه على الفور من ملابسه التي ميزته وسط الحرس، فقد كان (حازم) ورآهم قد انهالوا عليه ضربًا حتى همدت حركته تمامًا وبالرغم من دقة الموقف وخطورته، اتخذ (محمود) القرار بمساعدة صديقه بعد أن يخرج من هذا الموقف الصعب، في الوقت الذي وصل فيه إلى منطقة متشابكة الأغصان، وهنا قرر (محمود) أن يقلب الكفة فقرر الهجوم فتسلق أحد الأشجار وقبع عليها منتظرًا مرور الحرس، وما إن مر آخرهم حتى قفز وراءه وأداره نحوه

فحاول أن يلكمه إلا أن الحارس كان ذا لياقة عالية فصد الضربة، ولكن (محمود) ركله بين ساقيه وانطلق في الاتجاه المعاكس ثم اتجه ناحية الغرب وهو لا يعلم أين اتجاهاته تحديدًا، وانطلق وراءه الحرس، وأثناء ذلك أخرج أحدهم قوسًا وسهمًا وصوبه نحوه وانطلق السهم كالصاروخ وأصاب فخذه من الخلف فسقط (محمود) على الأرض ورأوه الحرس وهو يسقط فزادوا من سرعتهم نحوه إلا أنهم عند وصولهم إليه كان قد اختفى من أنظارهم وأخذوا يجيلون بصرهم في جميع الاتجاهات باحثين عنه، وأثناء ذلك شق الهواء صوت غصن حاد وسقط أحدهم صريعًا بغصن في عنقه فاستداروا نحو مصدره فوجدوا (محمود) يطير في الهواء ممسكًا بغصنٍ طويل فقفز نحو الأربعة المتبقين فأسقطهم أرضًا وانطلق يركض ثانيةً فانطلقوا وراءه إلا أن (محمود) عاد إلى الخلف متجهًا نحو الصريع وأخذ يفتشه حتى وجد بغيته، الخنجر.

استل الخنجر وانطلق عائدًا نحو الموقع ثانيةً متسلقًا الشجر من جديد وبدأت المطاردة بينه وبين أربعة من الحرس الفرعوني، وفجأة لمح أحدهم فرفع الخنجر وألقاه بكل قوة فأصابه في صدره وسقط صريعًا، هبط (محمود) على أرض الغابة وبدأ في الركض من جديد حتى خرج من الغابة وبدأت المدينة في الظهور وخرج وراءه الحرس المتبقين وشعر (محمود) أنه قد حوصر وبدأ الحراس

يقتربون منه في حذر وما أن اقترب أولهم حتى طعنه (محمود) بالجزء المتبقي من السهم بعد أن كسره من فخذه أثناء المطاردة، فاستل الحارسان المتبقيان سيفهما وصرخا صرخة قتالية يشيب لهولها الولدان، مما دفع (محمود) للركض بما أوتي من قوة على الرغم من إصابته واقتحم المدينة في عنف لم تجد له المدينة مثيلًا، وبدأت المطاردة لمرة أخري وأخيرة.

انطلق (محمود) مقتحمًا سوق المدينة، وتسلق تبة صغيرة من التبن ومنها إلى سقف أحد المنازل المطلة على السوق.

وأخذ ينتقل عبر البيوت المتلاصقة وهم يلاحقونه من الأرض وأخذ الرامي يحاول إصابته بالسهام ولكن (محمود) كان يتقافز كمن به مس من الجان فكانت الأسهم تحيد عنه فلم يصبه سهمٌ واحد، وأثناء ذلك انتهت البيوت المتلاصقة وفجأة قفز (محمود) ولكنه لم يستطع الوصول أبدًا إلى البيت الآخر فسقط ولكنه نهض فجأة وما أن استعد للركض بدأ جسمه يرتعد من النزيف وبدأ يمشي ببطء ورأسه تدور من الألم وفُتِحَ أمامه أحد الأبواب ووجد الأيادي تمتد إليه واستعد للمقاومة لكن الدوار في رأسه استحال إلى ظلمة تكتنف رأسه فسقط فاقد الوعي على عتبة باب ذلك المنزل.

أحلام متضاربة دارت برأس (حازم)، منذ أن رأى الفرعون ورآه يشع نورًا آلمه بشدة وأنه صرخ وفقد الوعي، أو هكذا خُيّل إليه، ولكنه أفاق فجأة ليجد نفسه وسط بهو فرعوني فاخر، وكان هناك حفلٌ فخم بالبهو للفرعون، ووجم الجميع للقادم ذي الملابس الغريبة، وسمع (حازم) أصوات غريبة ولكنه فهم أنها لا تحمل خيرًا على الإطلاق خاصة بعد أن رأى الرماح في أيدي الحرس وهم يستعدون بالتوجه نحوه، اتخذ (حازم) قراره، فركض مطيحًا بكل من أمامه حتى خرج خارج القصر إلى أن حاصروه وتكالبوا عليه وأفاق ليجد نفسه في ذلك القبو الرطب، ولكنه أفاق ليجد أمامه شخصٌ ضخم الجثة، لم يحتج (حازم) لوقتٍ كبير ليستنتج أنه في الزمن الفرعوني بالفعل، وأن ذلك الضخم هو كبير الحرس أو رئيس هذا القبو.

تكلم الضخم بلغة لم يفهم منها (حازم) شيئًا فقال باللهجة المصرية:

-أخرجوني من هنا، لماذا تقبضون عليّ؟

لم يمهله الضخم فلكمه في فكه بكل قوة، ارتج لها (حازم) بقوة فنظر إليه في غضب ولكنه استمع إلى نداء العقل فأخذ يشير إلى نفسه موحيًا أنه ليس من هذا المكان ولا يعرف أي شيء ولا يدري لمَ هو هنا من الأساس فهم بلكمه مرة أخرى إلا أن رفيق الضخم أمسك بذراعه، ورآه

(حازم) يقول له كلمات فأنزل قبضة يده المضمومة وهز رأسه ثم خرج، فوجدها (حازم) فرصة ذهبية لمن يفهمه، فاستعمل الإشارة ليطلب ورقة وأداة للكتابة فلبى الرجل الهادئ طلبه ثم أمر الجندي المختص بإغلاق القبو وترك (حازم) مع كومة من أوراق البردي ومحبرة وقلم من البوص.

استلقى (حازم) على ظهره وهو يفكر في الكارثة التي وقع فيها بكامل إرادته ويقول في نفسه:

-يا له من فخ محكم، كيف سأخرج من هذا المكان؟ ومن هذا الزمان؟

تركز تفكيره على أن ينقل كل ما حدث إلى الرسم، واستغرق ذلك منه ساعاتٍ طوال في الوقت الذي كان يدور حديث بين رئيس حرس القبو وكبير وزراء الفرعون عن ذلك الوافد الجديد، وكان الثاني يرى أنه جاسوس من الحيثيين بينما الأول على الرغم من عنفه الظاهر لم يرتح لذلك التفسير، إلا أن كبير الوزراء قال:

-ألم يلفت انتباهك ملابسه الغريبة؟

رد عليه رئيس الحرس:

-بالفعل ولكن هناك شيء ما بداخلي لا يدعم ذلك، ولكن دعنا لا نستبق الأحداث فالمنطق يدعم رأيك.

لم يعِ (حازم) أي حرف مما يقولان فقد كانا يتكلمان بلغة الفراعنة القديمة ولكنه انطلق في رسم موقفه الدقيق متناسيًا وجودهما ومحاولًا أن يصفي ذهنه كي يستطيع نقل الأحداث.

استطاع أن يرسم رسمًا مبدئيًا عن وضعه وعما رآه وعن الفجوة الزمنية، وبعدها توقف عن الرسم وطرق بيديه على القضبان المعدنية الخاصة بزنزانته، فأتى إليه الضخم ثانية ومعه كبير الوزراء، فأخذ الأول ما رسمه (حازم) وأخذ يشاهدها بسرعة وألقاها بعيدًا في عنف واستدار خارجًا وقال عدة كلمات، فتبعه الثاني دون أن يعقب وقام الحارس بإغلاق الزنزانة تاركًا (حازم) في حيرةٍ من أمره.

و بدا لـ(حازم) أن الأمل يتلاشى في الخروج من زنزانته، ببطء.

***

أصوات متداخلة دارت في رأس (محمود) وكان الظلام يحيط به من كل الجوانب إلا أنه بدأ ينقشع تدريجيًا إلى أن بدأ ذهنه في الصفاء حتى اكتملت الرؤية لديه، فوجد فتاة باهرة الحسن تجلس بجانبه واضعةً قطعة قماش مبللة على جبهته وتكلمت مع الواقف إلى جوارها إلا أنه لم يفهم حرفًا مما قالته، حاول النهوض إلا أن الفتاة بادرت

وأشارت إليه أن يلزم فراشه، وقد وجد (محمود) أنهم قد ضمدوا جراحه جيدًا وابتسم في قرارة نفسه لبراعة المصريين القدماء في فن المداواة، إلا أن الأحداث التي أتت به فرضت نفسها عليه وأخذ يجمع شتات أفكاره ليستعملها في نقل الأفكار بطريقته المعتادة، الإشارات.

أغمض (محمود) عينيه وبدأ في التفكير لإعداد خطة للتعامل مع ذلك الموقف ولكنه عزم أن يتخلص من مشكلة اللغة أولًا فأخذ يجول في أفكاره ليستعمل الإشارات الصائبة في الوقت المناسب، وهداه تفكيره إلى خطة جهنمية فقال في نفسه:

-إن هذا يحتاج لتفكير عميق.

في الوقت الذي انطلقت فيه أفكاره، كانت الفتاة تتحدث إلى أبيها قائلةً:

-ترى ما حكاية هذا الغريب يا أبي؟

رد عليها أبوها:

-أخشى أن يكون من أعداء الفرعون يا (نفر.(

-ولكن ملامحه لا توحي بذلك.

-من الممكن أن يكون جاسوسًا أو شيئًا من هذا القبيل.

-دعنا نأمل ألا يكون كذلك.

قطع حديثهما صوت مثل الأنين فالتفت الفتاة نحو (محمود) الذي بدأ يتكلم بالإشارة ويرسم بيديه إشارات بمنتهى البراعة -وقد كان يدعو في قرارة نفسه أن يفهمه أحد- ولكن (نفر) تجاوبت معه بشكل لا يصدق مما ساعده كثيرًا فسار في خطته، ففي البداية طلب منها أوراق وأداة الكتابة، وبعدها طلب منها أن تكتب بهم، فأشار لها بصورة أسد فكتبتها وكرر ذلك في أكثر من كلمة، مثل القط والنمر والفواكه والخضروات واستمر ذلك وقتًا طويلًا، وبعد أن انتهى أخذ منها الأوراق التي كتبت فيها بالهيروغليفية وحمل أوراقه التي كتب فيها الأسماء باللغة العربية، ووضع كل اسم بلغته أمام معناه باللغة الأخرى، وبدأ بفك الحروف واستمر ذلك إلى أتى الليل إلا أن ذلك لم يوقفه، ساعدته على ذلك بإضاءتها للمشعل الموجود بهو بيتهم، أكمل (محمود) عمله حتى بزغ نور الصباح مع صياح الديكة، وكانت الأمور قد بدأت تتضح تدريجيًا لديه، وقام بالتنفيذ العملي فكتب في الورقة بالهيروغليفية "صباح الخير" وانتظر حتى أتت (نفر) فأعطاها الورقة فتهللت أساريرها وللمرة الثانية تجاوبت معه فكتبت له في ورقة أخرى "صباح الخير عليك، كيف حالك اليوم؟" وكان (محمود) يدعو أن يتفاهما بمثل هذه اللغة الصعبة، وما أن رأى ما كتبته حتى رد عليها سريعًا "أنا بخير"، واستمرت المحادثة بهذا الأسلوب وبدا أن خطة (محمود) قد بدأت

تجني ثمارها بالفعل، وخلال وقتٍ وجيز، كان (محمود) يبدأ يستوعب اللغة المنطوقة والمكتوبة في ذلك الزمن، وبدأ بالتدريج في تعلم الكلام مع (نفر) ومع والدها.

وفي نفس الوقت بدأ يتعلم شؤون الزراعة من الوالد وكان يدعى (حور حت)، وسرعان ما اندمج (محمود) في هذا المكان والزمان الجديدين، وبمرور الوقت أدرك في أي عصر قادته الظروف هو وصديقه، عصر الأسر الحديثة، رمسيس الثاني تحديدا، وعلم مدى قسوة نظام الحكم داخل هذا العصر، وتأكد من ذلك في القسوة البادية من جامعي الضرائب وأثناء جمع المحصول، مما دفعه في بعض الأحيان أن يشتبك مع بعض الحراس بسبب سبة أطلقها تجاه (حور حت) فانبرى (محمود) للدفاع عنه وانتهى الأمر بسلام، إلا أن ذلك الحارس لم ينس ذلك أبدًا وتوعد (محمود)، الذي أطلقت عليه (نفر) اسمًا جديدًا فأسمته (توت)، وقال له:

-يومًا ما ستدفع الثمن غاليا يا (توت.(

وبمرور الأيام عرف أن (حور حت) يمتهن بالطب من الأساس وأن الناس في القرية تأتي إليه -ومن المدينة أيضًا- ليتداووا عنده لما عنده من وصفات سحرية للعلاج وخاصةً الآلام، ولاحظ (محمود) إلمامه بمعلومات طبية يعرف عنها قليلًا في العصر الذي جاء منه، لكنه اكتشف موهبته في

مجال مختلف تماما، السحر، وكانت مفاجأة قوية ومفيدة لـ (محمود)، الذي داعبته خطة جهنمية تلعب في رأسه، واختمرت حتى أصبحت لعبة في غاية البراعة والمهارة، والخطورة.

***

5- الخطة المجنونة

-حور حت، هل من الممكن أن تسدي لي صنيعا؟

بتلك الكلمات بدأ (محمود) حواره مع صديقه من زمن الفراعنة الذي رد عليه قائلا:

-بالطبع، ماذا تطلب؟؟

تشجع (محمود) بهذه البداية الطيبة وقال:

-أريدك أن تعلمني السحر.

بهت الرجل للسؤال وقال:

-ولم اخترت السحر تحديدا يا (توت)؟

-للتقرب من القصر.

فغر الرجل فاه دهشةً وردد وراءه متسائلًا:

-القصر؟؟؟؟؟؟

-نعم القصر.

-وما الداعي لكل هذا؟

-سأخبرك.

وبدأ (محمود) في الكلام، واستمع إليه (حور حت) وهو لا يكاد يصدق معظم ما يسمعه وقد أخبره (محمود) بالقصة من بدايتها مرورًا بالرجل العجوز وانتهاءً بالفجوة الزمنية وما آل إليه الوضع الدقيق الذي يمر به (حازم) في الوقت الحالي، وأنهى (محمود) كلامه بقوله:

-أتمنى أن ينتهي ذلك قبل الاحتفال الثاني بالفرعون.

نظر (حور حت) إليه في دهشة واستنكار، وظهرت عليه أمارات التساؤل، ولم يمهله (محمود) ثانية للسؤال فأجابه بما يريحه، وعن القيمة التاريخية لذلك الاحتفال ولكنه استوقفه قائلًا:

-ولكن كيف ستدخل إلى القصر؟

ابتسم (محمود) ابتسامة جذلة وقال له:

-ستعلم يا معلمي ولكن ثق بي لن يتأذى أحد من هذه الخطة.

ثم استدرك قائلًا:

-أو هذا ما أتمناه.

وجه (محمود) السؤال إلى (حور حت:)

-والآن بعد ما سمعته، هل ستقبل أن تعلمني السحر؟؟

هز (حور حت) رأسه موافقا وقال له:

-بشرط واحد.

ابتسم (حمود) وقال:

-وما هو؟؟

رد عليه (حور حت) قائلًا:

-ألا تمارس السحر من دون علمي، أو تقوم بأي أعمال سحرية مع العامة بدون إذن مسبق مني.

أدار (محمود) الموضوع في رأسه وقال:

-موافق.

ومد يده ليصافح (حور حت) الذي بادله المصافحة بدوره.

وفي أعماقه تنفس (محمود) الصعداء، وهو يشهد أولى الخطوات في مخططه للوصول إلى داخل القصر، وهو يدعو ربه أن تتم الخطة بنجاح.

***

مر شهر على بطلينا وهم في الزمن الفرعوني، في الوقت الذي كان (محمود) يتعلم فنون السحر من (حور حت) كان (حازم) قد بدأ يعي مفردات اللغة الفرعونية القديمة

من الكلام الكثير الذي كان يسمعه من الجنود والحرس ومن الرجل الذي جلب له الأوراق منذ مجيئه للسجن في ذلك القبو، واستنتج في خلال هذه المدة الوجيزة أشياء كثيرة، غامضة، ومخيفة.

ففي صباح ذلك اليوم سمع عن أنباء تفيد بأن هناك مؤامرة في الطريق تحاك خيوطها من الخارج لإلحاق الأذى بالفرعون، في الوقت الذي علم فيه أنه تم إيداع أحد الأشقياء الخطرين داخل نفس القبو الذي تقع فيه زنزانة (حازم)، وهو ما أثار القلق داخل نفس (حازم) من دون داعٍ، راقب (حازم) ما يحدث حوله من اقتياد ذلك الوافد الجديد إلى زنزانته، ولاحظ ملامح وجهه، فتسمر في مكانه من هول ما رأى، فقد كان ذلك الوافد الجديد يشبهه إلى حد كبير، مما رفع درجة قلق (حازم) إلى الحد الأقصى، ولم يكن يدري كم كان حدسه صادقًا، إلى أقصى حد.

في الوقت نفسه، كان الفرعون في قصره يجلس مع كبير وزرائه وقال له:

-خبرني يا وزيري عن الحيثين ومؤامراتهم.

أطرق كبير الوزراء ثم قال:

-كلام لا يسر يا سيدي.

أخذ نفسا عميقا وتكلم قائلًا:

-إنهم لا يكتفون بالمؤامرات وبدا أنهم لم يكتفوا بما ألحقنا بهم من هزائم، ولا أحد يعلم هل يرون أن في المعاهدة خسارة لهم أم ماذا، بالرغم من المكاسب التي جنوها من هذه المعاهدة إلا أننا لم نفهم سببًا واضحا للحركات المستترة المريبة لجواسيسهم من ناحية ومن جيوشهم على الحدود بيننا وبينهم من ناحية أخرى.

التفت إليه الفرعون منتظرًا إياه أن يكمل فأكمل قائلًا:

-وفي هذه الأثناء ظهر شابان يرتديان ملابس غريبة ويبدو عليهم أنهم من خارج الوطن، أحدهم رأيته جلالتك في الحفل الفرعوني، أما الثاني فقد ظهر بعده بفترة وجيزة و...

قاطعه الفرعون قائلًا:

-وما كان مصير هذين الشابين؟

تنحنح كبير الوزراء وقال:

-الأول الذي ظهر في الحفل تم القبض عليه، أما الذي ظهر بعده فقد اختفى و لم نجد له أثر.

-كيف لم تجدوه حتى الآن؟

-ما زلنا نبحث عنه، مولاي.

-وذلك الشاب الأول؛ هل استطعتم التوصل منه إلى معلومات؟

-إنه يتكلم بلغة غريبة جدا يا مولاي ولا تشبه حتى لغة الحيثيين، ولا أي لغة عرفتها طيلة حياتي.

-حسناً. ائتوني به فورًا.

وما إن تحرك كبير الوزراء لتنفيذ الأمر الفرعوني حتى استوقفه الفرعون قائلًا:

-انتظر، أريدك أن تحضره لي بنفسك.

نظر إليه الرجل بدهشة وتساؤل فأجابه الفرعون:

-خذ معك اثنين من الحرس واجلبه إلى هنا.

انطلق كبير الوزراء وهو في كامل دهشته من ذلك الأمر المباغت، وهو لا يعلم أنه يسدي أكبر معروف في حياة (حازم)، في حياته كلها.

***

في منزل (حور حت) جلس (حور حت) و (محمود) وتكلم الأول قائلًا:

-أخبرني يا بطل، هل اكتفيت بما تعلمته من السحر؟

ابتسم (محمود) وقال:

-لا أستطيع أن أخبرك كم أود أن أشكرك، ولكن.....

-لكن ماذا؟؟

-هذا يكفي فقط للجزء الأول من خطتي.

-وما هو الجزء الثاني؟

-أريد ما هو أقوى وأخطر.

-الأقوى والأخطر؟؟؟؟؟؟ فيم؟؟

-في السحر.

نظر إليه (حور حت) في دهشة:

-وماذا تريد من الأخطر في عالم السحر؟؟

رد عليه (محمود) في سرعة:

-سيفيدني كثيرا.

قال (حور حت:(

-ما زلت لا أفهمك، ولكن... ما الذي تريده؟

اتقدت عينا (محمود) وقال:

-سحر النار.

ارتعد (حور حت) في مكانه وسأله:

-وكيف ستستفيد من السحر المتعلق بالنار؟

قال له (محمود:(

-سأخبرك.

وللمرة الثانية يتكلم (محمود) و(حور حت) يصغي له وهو يكاد يسقط مغشيا عليه من جم الدهشة التي عقدت لسانه لما يسمعه من (محمود) ومن خطته الجهنمية.

ووقف لحظةً ليلتقط أنفاسه ثم تكلم:

-هذا في منتهى الخطورة.

رد عليه (محمود) وهو يبتسم:

) -توت) يعلم ذلك يا (حور حت.(

والواقع أن كليهما لم يعلم أن الخطورة كلها لم تكشف سترها، فما كان ينتظرهما وينتظر (حور حت) تحديدًا هو الخطورة عينها.

شيء لم يتوقعه (حور حت) ولم يدر في خلد (محمود) أبدًا.

***

في الوقت الذي انتصفت الشمس في كبد السماء وبدأ الناس في العودة إلى بيوتهم كان هناك مكان واحد فيه حركة غير عادية، في مكان يجاور القصر، تحديدا عند القبو الخاص بالمساجين، وإن شئنا الدقة، فقد كانت الحركة ملحوظة جدًا في أحد الحجرات الملحقة بالسجن، فقد كانت حجرة الطبيب الخاص بمساجين القبو.

وقد تجمع حول هذه الحجرة مجموعة من الحرس ومعهم كبير الوزراء الذي كان قد نزل بمحض الصدفة لإحضار (حازم) كما أمره الفرعون.

وقد بدا أن طبيب السجن يعاني من مرض عضال آل إليه سنه الكبيرة، أو بدا أنه يحتضر، وفي هذه اللحظة تكلم كبير الوزراء بصوت عالٍ وقال:

-ألم يأتي طبيب آخر لفحصه؟

رد عليه المسؤول عن السجن قائلًا:

-أرسلنا في طلبه.

وسأله كبير الوزراء:

-وهل هو جيد في مجاله؟

رد عليه الرجل:

-نعم يا سيدي، إن كل البلدة تشهد له بذلك.

ودار بخلد كبير الوزراء خاطرٌ ما ولكنه أسره في نفسه وقال:

-لماذا تأخر هكذا؟

أجابه:

-لأنه يسكن في أطراف المدينة يا سيدي، سيكون هنا بعد قليل.

في الوقت نفسه كان (حازم) يلاحظ الحركة التي يقطعها الجنود جيئةً وذهابًا داخل الممر الذي تطل عليه كل الزنازين التي يقبع فيها (حازم) ومن مثله وسمع صوتًا يقول:

-لقد وصل الطبيب يا سيدي.

التفت (حازم) نحو السلم الذي تقع بجواره زنزانته ورأى ثلاثة ظلال بشرية تقترب ثم ظهر الظل الأول وقد كان جندي حراسة القبو من الخارج ودخل معه الطبيب وتقدم معه مساعده، وما إن رأى (حازم) وجه مساعد الطبيب ارتد من مكانه كمن أصابته صاعقة كهربية، فقد كانت مفاجأة كبيرة جدا، مفاجأة لم يتوقعها أبدًا ولا في أروع أحلامه.

***

بعد ما أتم (محمود) حديثه مع (حور حت) سمع طرقات قوية على الباب فاتجه لفتحه وظهر على عتبته رجال أشداء ثم تقدم أحدهم وقال:

-أين (حور حت)؟

تقدم (حور حت) نحو الباب وقال:

-ها أنا ذا.

ارتفعت ضربات قلب (محمود) وهو يسمع كلام الرجل الذي قال:

-نريدك.

رد عليه (حور حت):

-أين ولماذا؟

أجابه الرجل:

-أين في القصر عند القبو الفرعوني، أما لماذا لأن طبيب السجن يحتضر ولم نجد طبيبا خبيرا في البلدة غيرك.

سأله (حور حت:(

-وما الفائدة من وجودي إذا كان يحتضر؟

ابتسم الرجل وقال:

-أسئلتك كثيرة جدا يا سيدي ولكن هذا السؤال حقيقةً لا أعر له جوابًا لأني فعلا لا أدري.

وأخذ نفسًا عميقًا وقال:

-لأنه أمر من كبير وزراء الفرعون شخصيًا.

اتسعت عينا (حور حت) في دهشة في الوقت الذي التمعت فيه عينا (محمود) بشدة، فقد كان هذا يسهل عليه الكثير جدًا، والتقت عينا (حور حت) و (محمود)، وقرأ كل واحد ما يدور بخلد الآخر.

فقد كان الأول يخشى المغامرة والدخول بين فكي الأسد بقدميه، والثاني يتمنى هذه اللحظة بفارغ الصبر.

وبعد ثوانٍ تكلم (حور حت:(

-موافق.

ثم استدرك قائلًا:

-لكن لي شرط واحد.

التفت إليه الرجل في تساؤل فقال (حور حت:(

-أريد أن يصحبني مساعدي.

أومأ الرجل إليه برأسه إيجابًا وقال:

-لك هذا، اتبعوني.

وانطلق الرجال مصطحبين (محمود) و (حور حت)، وكلًا منهما ما زالت تدور الأفكار في رأسه

***

6- الصدفة

ذهب (حور حت) برفقة (محمود) إلى المكان الذي يرقد فيه المريض، وأثناء ذلك مرّ بأحد الزنازين وهناك وقعت عيناه على ما كان يتمنى رؤيته: (حازم).

في الوقت الذي رآه فيه، تملكت الدهشة (حازم) للحظات قبل أن ينطق اسم (محمود) بصوت مسموع.

التفت إليه الحارس الخاص به وقال:

-ماذا تريد أيها السجين؟

كاد (حازم) أن يرسم له ثانيةً، إلا أنه -ولسبب خفي- آثر الصمت، وقرر أن يتوخى الحذر، ولكن قلبه انتعش بالأمل ثانيةً لمرأى صديقه (محمود)، لعله يستطيع إنقاذه من هذه الورطة التي وجد نفسه بداخلها طيلة الأشهر الأربعة الماضية.

"تفضل يا سيد (حور حت) مع مساعدك (توت)، تفضلا بالدخول"

قطع الحارس على حجرة طبيب السجن أفكار (حازم) مع قوله لهذه العبارة، في الوقت الذي كان (محمود) يفكر بشكل متسلسل وهو يراجع خطته التي يخطط لها منذ أن دخل إلى منزل (حور حت)، وقد سمع من الحراس كلامهم عن الاستعدادات للحفل التي ستتم مراسمها للفرعون بعد أسبوعين، وأن كيف البلد كلها ستتزين من أجل ذلك الحفل وأن الفرعون بنفسه سيظهر وسط الجماهير في ذلك الحفل من شرفة قصره الفسيح.

كان (محمود) يسمع كل هذا وتوقف ذهنه عند نقطة معينة، سبب الاحتفال، ذكرى ارتقاء (رمسيس الثاني) للعرش.

تداعت المعلومات بسرعة أمام عينيّ (محمود)،

التعامد الأول: مع ميلاد الفرعون.

التعامد الثاني: مع ارتقاء الفرعون للعرش.

"الفجوة الزمنية لا تفتح إلا بشرطين، تعامد الشمس على وجه التمثال هذا"

تذكر كلام العجوز عند المعبد، وتذكر الشرط الثاني، قدس الأقداس، الرموز.

"هيا يا (توت)"

انتزعه العجوز من شروده، فالتفت إليه وقال له:

-أمرك يا سيدي.

تحرك (حور حت) ومعه (محمود) واتجه الأول نحو كبير الوزراء وقال له كلامًا بصوت مهموس، بدأ وجه كبير الوزراء في التجهم ثم نظر إليه وقال:

-لا بأس، نحن على دراية كاملة بك ونثق فيك تمامًا، ولكن.....

نظر إلى (محمود) وقال:

-إن مساعدك هذا يشعرني بالريبة.

رد عليه (حور حت:(

-لا تقلق يا سيدي، إنه مساعدي الأمين الطيب ولا غبار عليه. إنه بارع أيضًا في الطب مثلي. لا تقلق.

تكلم (محمود:(

) -توت) تحت أمر مولاي.

قال كبير الوزراء:

-حسنًا. فلترعاكم روح آمون الطيبة.

ثم التفت إلى مسؤول القبو وقال له:

-جهّز هذا السجين لأن الفرعون يرغب بلقائه و.....

شحذ (محمود) كل حواسه ليسمع إلا أن أحد الحرس اندفع بسرعة نحو القبو ونادى كبير الوزراء:

-سيدي قائد الحرس الفرعوني يرغب في لقائك لأمر عاجل ومع الفرعون تحديدًا.

انعقد حاجبا كبير الوزراء وقال:

-سآتيك على الفور.

وفي عقله انطلق ألف سؤال وسؤال، بدون جواب.

****

كان ذهن (محمود) مشغولا لدرجة أنه انفصل عن الواقع المحيط به تمامًا وبدأ عقله يعرض عليه الأحداث منذ أن وطأ بقدمه الطائرة حتى الموقف الذي هو داخله الآن وذهنه يتوقف عند نقطة معينة، الفجوة الزمنية، نحتاج شرطين: تتابع الرموز وتعامد الأشعة على وجه التمثال، الباقي من الزمن قليل

وإلا سيظلان حبيسين في زمن الفراعنة إلى الأبد، والله وحده يعلم كم من الوقت سيحتمل جسدهما ذلك الفرق الرهيب في الأزمنة.

قاطعت أفكاره يد حانية على كتفه تربت في هدوء وصاحبها يقول:

-اطمئن يا ولدي، آمون سيظهر الحق، عليك أن تحضّر نفسك للحفل الكبير الأسبوع القادم.

ابتسم (محمود) ليرد على (حور حت) الذي لم يمهله وأكمل:

-أو تعلم؟؟ إن الحفل هذه المرة سيكون في المعبد وليس في القصر مثل سابق الحفلات.

التمعت عينا (محمود) في ظفر، هكذا يكتمل المربع الناقص في الأحجية.

واكتملت الخطة في عقل (محمود) وهو يسمع (حور حت) الذي قال:

-لقد عينوني طبيبًا للسجن بدلًا من زميلي الذي يحتضر هذا، وعينوك مساعدًا لي.

رد (محمود:(

-هذا من دواعي سروري.

والتقط نفسًا عميقًا وقال لـ (حور حت):

-أريد زيارة المعبد.

واستكمل:

-وأريدك معي يا (حور حت).

أجابه:

-لا مشاكل، ولكن ألن تخبرني لماذا؟

ابتسم (محمود) ابتسامة غامضة وقال:

-ستعرف حينها.

واتسعت ابتسامته الغامضة أكثر فأكثر.

***

ذهب (حور حت) و (محمود) إلى المعبد، وكم كان هائل الحجم، معبد (أبو سمبل.(

"كما هو منذ ذلك الزمن، ما أروعك"

قالها (محمود) في نفسه والانبهار ينطق من عينيه.

انطلقا داخل المعبد وكان الصمت يتخلل أرجاءه وأخذ يشاهد أركانه وبدأ يتحرك متخذًا نفس الطريق الذي اتخذه صديقه (حازم) منذ مدة، وهنا بدأ (حور حت) في الحديث:

-هل لي أن أفهم؟

ابتسم (محمود) وقال:

-حتى نفتح تلك الفجوة لابد من تعامد أشعة الشمس على وجه التمثال وتتابع الرموز وفقًا لتتابع أتذكره جيدًا.

رد عليه (حور حت):

-وبعدها؟

رد عليه (محمود):

-حينما تفتح الفجوة الزمنية سنعود إلى وطننا.

تساءل (حور حت):

-وكيف ستضمن حدوث هذين الحدثين في نفس التوقيت؟

أجاب (محمود):

-لو سارت الأمور كما أتمنى فإن ذلك سيضمن لي حدوث الأمرين سويًا.

غمغم (حور حت:)

-أتعشم ذلك.

ابتسم (محمود) دون أن يرد، وفجأة؛ انعقد حاجبا (محمود) بشدة، وشحذ حواسه كلها، لأنه كان يسمع صوتًا كالفحيح ينبع من وراء أحد الأعمدة داخل الهو، اقترب أكثر وأكثر، أنصت إلى الحديث وأشار إلى (حور حت) أن يتبعه، تبعه (حور حت) صامتًا وحينما استمع إلى الكلام، اتسعت عيناه في دهشة، فقد كان الكلام يصعب تصديقه، بل يستحيل.

***

كانت (نفر) تذرع أرجاء المنزل جيئة وذهابًا، فقد تأخر عليها والدها ومعه (توت) وهي لا تعلم أين استقر بهما المقام، ولا لمَ كل هذا التأخير، وبدأت تطوف ببالها كل

الخيالات الجيدة والسيئة وأخذت تتضرع للآلهة أن يعودا سالمين:

-بحق (آمون) أعدهم إلى سالمين.

وأثناء أفكارها وخيالاتها، قطع ذلك صوت طرقات عنيفة على باب المنزل، التفتت بحدة نحو الباب وقلبها يطرق ضلوعها بعنف هو الآخر، وفتحت الباب لتجد أباها بعينين زائغتين و(محمود) منعقد الحاجبين وينظر إلى الفراغ.

اندهشت (نفر) من رد الفعل الغريب هذا، وسارت وراء أبيها الذي كان ما يزال في حالة دهشة وصدمة مما سمعه، وانطلق ذهنه نحو أيام شبابه، حين تعلم اللغة الأشورية وأتقنها وآلف سماعها والحديث بها، كواحد من أهلها بالضبط.

أثناء تدافع هذه الأفكار بداخل رأس (حور حت)، لم يكن بمقدوره حتى أن يلتفت إلى ابنته ليسمعها، فلما أحست بعدم استجابته لأسئلتها، اتجهت لـ (محمود) وسألته:

-هل لك أن تخبرني يا (توت) أين كنتما وما سبب تأخيركما ولماذا يبدو عليكما علامات غريبة من ردود الأفعال؟

لم يرد عليها (محمود) فقد كانت في عقله تتلاعب كل الخيوط، فما قصّه عليه (حور حت) كان يقلب موازين الأمور، ولكنه أيضًا يختصر العديد من الخطوات في سبيل العودة وتحرير (حازم)، هذا إذا تم استعمال هذه الصدفة بشكل جيد.

وبدأت الصورة تتضح في ذهن (محمود) تدريجيًا .

كررت (نفر) سؤالها للرجلين، وحين لم تجد ردًا قالت:

-ما بكما؟ إني أرى شيئًا غريبًا يحدث، وأنت يا أبي ما بك لم تكن على هذا القدر من الدهشة والـ.....

قطعت كلامها فجأة حين لمعت عينا (محمود) ببريق لم تعهده (نفر) في حياتها، وابتسم (محمود) وقال:

-سأخبرك بكل شيء.

واتسعت ابتسامته رويدا رويدا، وهو يدعو من كل قلبه أن تسير الخطة كما يأمل، حيث إن خطته كانت تحتوي على جزء من الخطورة، جزء غير قليل.

***

7- الخطوة الأخيرة

في حجرته الملحقة بمنزل (حور حت)، بدأ (محمود) في تجربة ما أتقنه من السحر بخصوص النار، لم يكن سحرًا بالمعنى المفهوم، فـ (محمود) يدرك تحريم السحر في عالمنا، ولكنه أتقن خدعة تمكنه من استخدام الألعاب النارية، وهو ما يريده وبقوة.

بدأ بتجربة على أماكن محدودة، وتبقى له تجربة بداخل أرض المعبد، تحديدًا قدس الأقداس.

في ذلك اليوم، انتهز فرصة عدم ارتباطه بأي عمل داخل القصر واتجه للمعبد بحجة التأمل وبدأ هناك يعيد التجارب ولكنها لم تكن ترضيه، وأخذ يعيد الكرة مرة، وثانية، وثالثة، ونفس النتيجة، وأخذ يرتب حاجياته ولكنه تسمر في مكانه فجأة حين سمع:

-مهما تعلمت من السحر فأهل السحر لهم أفعالهم الخاصة.

التفت (محمود) ليجد أمامه (حور حت) الذي قال:

-لقد استوعبت خطتك وكدت أؤكد عليك مساعدتي لك لولا ما حدث وقطع حديثنا، قل لي ما هو تتابع الرموز؟

أجابه (محمود) بتتابع الرموز و (حور حت) يستمع إليه بتركيز شديد حتى انتهى مما قاله، فقال له:

-وتريد أن يحدث تتابع للضوء على هذه الرموز حتى تنفتح الفجوة التي أخبرتني بها.

رد عليه (محمود:(

-بالضبط.

استكمل (حور حت) حديثه قائلًا:

-بخصوص موضوع إلقاء الضوء على الرموز، لن يتم كما تحاول أن تقوم به. انظر إليّ.

واتجه نحو أقرب رمز وبدأ الألعاب، و(محمود) يشاهد بانبهار، وقلبه يدق بانفعال، وهو يشعر أن الطريق إلى الخلاص من هذا الزمن يقترب، ويقترب.

***

في طريقهما للعودة إلى المنزل، سأل (حور حت) (محمود):

-ولكنك لم تخبرني كيف ستستفيد من صدفة الأشوريين؟

ابتسم (محمود) وقال:

-كيف لم يخطر ببالك هذا الموضوع يا سيدي؟ خاصةً أنك شاركتني الخطوة الأساسية التي جعلتنا نستكشف ملامح الخطة.

التفت إليه (حور حت) دون أن يرد، وانطلق عقله عائدًا إلى المعبد، حين أشار إليه (محمود) أن يتبعه في صمت، تساءل في أعماقه، لماذا صمت (محمود) فجأة ولم أشار إليه أن يتبعه إلى هذا المكان تحديدًا بالرغم من أن طريقهم كان يبعد عن هذا المكان؟ وبدأ يقترب من البقعة التي يقف عندها (محمود) وأثناء اقترابه سمع صوتًا يميزه جيدًا، لغة الحيثيين.

وعندما اقترب أكثر، حبس أنفاسه وهو يستمع ، اثنان يتحدثان هذه اللغة المميزة، والأول يقول:

-هل أحضرت المعدات يا (اداد)؟

رد عليه (اداد):

-نعم أحضرنا الملابس وأدوات الزينة والعطور كما طلبت يا (أشوريل)، وكل شيء جاهز للتنفيذ.

سأل (أشوريل):

-معدات التصويب جاهزة؟ والأسلحة؟ هل أحضرتموها كما طلبت؟

أجاب (اداد):

-كل شيء معدٌ مسبقًا، وهيا بنا إلى المنزل لأن (بيريشا) ينتظرنا هناك.

رد (أشوريل:)

-حسنًا. هيا بنا.

في هذه الأثناء، نظر (محمود) لـ (حور حت) الذي كاد أن يغشى عليه من فرط ما تخيله من وراء هذه المحادثة البسيطة، وفضحت عينا (محمود) رغبته في التساؤل ولكن (حور حت) أجابه دون أن يسمع سؤاله ورد بكلمة واحدة قائلًا بصوت مبحوح: "جواسيس."

لم ينتظر (محمود) ليستفهم من (حور حت) وما سمع من الكلام بين هذين الرجلين، فقام مسرعًا واتجه يحث الخطى ليتتبعهما بحذر، وتبعه (حور حت) في حذر مماثل حتى وصلا إلى منزل مستتر عن الأعين ودخل الرجلان إلى المنزل وقبع (محمود) و (حور حت) بجوار النافذة وبدأ (حور حت) يسترق السمع وبدأت دهشته وخوفه يصلان إلى الذروة حينما سمع الخطة من الرجال بداخل المنزل.

ثم تحرك سريعًا ليبتعد عن المنزل، وأشار لـ (محمود) أن يأتي وراءه.

تحرك (محمود) مسرعًا يتبع (حور حت)، وحينما ابتعدا بالقدر الكافي عن ذلك المنزل تساءل (محمود:)

-هل لي أن أفهم؟

رد عليه (حور حت):

-هؤلاء الأوغاد يخططون لعملية خطيرة داخل الاحتفال القادم، إنهم يجهزون أسلحة وملابس للتنكر حتى يذوبوا داخل الجماهير، تخيل من سيكون هدفهم؟

من دون تفكير رد (محمود): - الفرعون؟

أجاب (حور حت):

-بالطبع. وهذه كارثة، وواجبنا أن نمنع هذا بأي ثمن.

قال (محمود):

-هذا واضح. ولكن الموضوع يحتاج للتخطيط.

وحينها انقطع (محمود) عن الكلام وغرق في تفكير عميق في اللحظة التي كانا قد اقتربا من المنزل وقابلا (نفر) حينها.

عند هذه النقطة، عاد عقل (حور حت) إلى إجابة السؤال الذي سأله (محمود) الذي سأله مبتسمًا:

-هل أدركت يا سيدي الآن كيف سنستفيد من هذه الصدفة السعيدة؟

رد (حور حت):

-أدركت بالفعل، ولكن ذلك ينطوي على مخاطرة يا (توت).

أجاب (محمود):

-أعلم مدى الخطورة، ولكن لا تنس أننا من البلاط الفرعوني حاليًا.

ابتسم (حور حت) دون أن يرد وأكمل (محمود):

-طبيب القصر والساحر الخاص، ومعه مساعده و.....

قاطعه (حور حت) وهو يقول:

-انتظر يا توت.

قطع (محمود) حديثه وهو ينظر لسيده الذي بدا -ولأول مرة- ببريق في عينيه، فسأله:

-ما بك يا سيدي؟ لم هذا البريق من عينيك؟

رد عليه:

-أعتقد أن لديّ تعديل على خطتك وسيضرب عصفورين بحجر واحد.

استمع (محمود) لتعديلات (حور حت).

وبدأ بريق عينيه يزداد، ويزداد.

بدأت الاستعدادات للحفل داخل المعبد على قدمٍ وساق من أجل إعداد حفل يليق بمكانة الفرعون وبذكرى تتويجه

على عرش البلد، في الوقت الذي كانت فيه (نفر) تتزين بأفضل ما لديها من ملابس وعطور وأدوات زينة، لتظهر في البهو المخصص لاستقبال الفرعون، خاصةً أنها ابنة طبيب وساحر الفرعون الخاص.

وفي نفس الوقت، كان الكهنة يعدون المعدات للاحتفال بطريقتهم الكهنوتية المعتادة والمخصصة لهذه الاحتفالات الكبرى.

وبعيدًا عن المعبد، وعودة إلى القصر الفرعوني؛ تكلم المسؤول عن القبو الموجود أسفل القصر مع أحد معاونيه فذهب إلى الزنزانة الخاصة بـ (حازم) وفتحها بعنف وجذبه من ملابسه التي أصبحت رثّة بسبب تركه في الزنزانة فترة طويلة، وتكلم الرجل قائلاً:

-لا أعرف ما السبب، ولكن الفرعون نفسه يطلبك و...

قاطعه صوت قوي يقول:

-أنجز ما طلبه منك رئيسك.

ارتعدت فرائص الرجل حين سمع الصوت، فقد كان صوت قائد السجون شخصيًا، والذي قال:

-من الواضح أن الفرعون يعرف عنك شيئًا لا يعرفه أحد سواه، لذا طلب أن تتواجد في الحفل المخصص له اليوم.

لم يستوعب (حازم) كل ما قيل، إلا بضع كلمات مثل الفرعون، الحفل، ولكنهما كانتا كافيتين ليستوعب أن المشهد الأخير قد قارب على الحدوث، وبشدة.

***

في هذه الأثناء كان (محمود) يراجع خطته للمرة المليون، ويدعو ربه أن تأتي الأمور كما يأمل، وأن تنفتح الفجوة الزمنية كما يتمنى حتى يعود لزمنه ومعه صديقه (حازم)، وتأكد من كل حساباته.

في الوقت نفسه، كان (حور حت) يتأكد من جاهزية كل معداته الطبية وغير الطبية وهو يراجع الجزء الخاص به في خطة تلميذه النجيب (توت)، وخاصة الجزء الخاص بكشف الجواسيس الحيثيين وقال لنفسه:

-لتكن مشيئة (آمون).

وبعيدًا عن منزل (حور حت)، كانت هناك استعدادات داخل المنزل البعيد عن الأماكن السكنية المأهولة، وكان الثلاث رجال يجهزون الملابس التي ستجعلهم لا يختلفون شيئًا عن المصريين الموجودين بالحفل، وراجعوا الخطة للمرة الأخيرة وتأكدوا من كل التجهيزات والإعدادات.

في الوقت الذي ظهر فيه كاهن عجوز جدًا تظهر في وجهه علامات كبر السن وكذلك علامات الطيبة، ولكن

عيناه كانت تشع ببريق غريب، أتى ذلك العجوز واتجه للقصر واستأذن في مقابلة الفرعون فأمهلوه لبرهة، وما لبث أن أتى له كبير الوزراء وسأله: - كيف لي أن أخدمك؟

رد عليه العجوز: - لدي معلومات هامة جدًا يحتاج سيدي الفرعون لمعرفتها.

انعقد حاجبا كبير الوزراء في ضيق وهو يتساءل في قرارة نفسه عمّن يكون هذا الغريب بالرغم من أنه يرتدي ملابس الكهنة إلا أنه لم يره مسبقا، أدار الرجل الموضوع في عقله ثم قال:

-تفضل.

لكنه استدرك قائلًا:

-ولكن بشرط واحد.

ابتسم العجوز فأكمل الرجل قائلًا:

-أن أحضر هذه المحادثة.

اتسعت ابتسامة العجوز وقال:

-لا مانع.

واتسعت ابتسامته ليشرق وجهه، ويزداد البريق الصادر من عينيه، البريق الغامض.

***

8- الختام

بدأت مراسم الحفل وبدا للجميع علامات السعادة على كل الموجودين بالحفل، وهو ما جعل كل البلاط الفرعوني في حالة سعادة وانتشاء بفرعونهم القوي الذي أعاد للبلاد مكانتها وسط الأمم، وكيف لا؟ وفرعونهم هو أول فرعون يقوم بمعاهدة في التاريخ، وجنّب بلاده ويلات الحروب وأبعد أبناء شعبه عن آلة القتل والدمار التي تفنن الحيثيون في استعمالها.

كل هذه الأفكار دارت في رأس (حور حت) وهو يراقب سعادة المصريين أثناء الاحتفالات، وكان يعلم ترتيب المراسم وأن الخطوة القادمة هي افتتاح قدس الأقداس بعد تجهيزه ومراقبة أشعة الشمس وهي تسقط على التمثال للمرة الثانية خلال هذا العام.

وخفق قلبه عند هذه اللحظة، والتقت عيناه بعينا (محمود) الذي كان قلبه يدق بعنف وقد أدرك أن الوقت قد حان؛

"أيها السادة"

انتبه الاثنان من أفكارهما على صوت المنادي الفرعوني الذي أكمل:

-الفرعون يود أن يلقي كلمة.

انعقد حاجبا (محمود) و(حور حت) في استغراب، وعقل كل واحدٍ منهما في رأسه آلاف الأسئلة، وبدأ الفرعون في الحديث:

"شعبي الحبيب، قضينا أعوام عديدة في الحروب مع أعداءنا في الخارج وعلى رأسهم الحيثيين، حققنا انتصارات منها، وأنهينا ذلك بمعاهدة طويلة الأمد بيننا وبينهم، إلا إنهم ما زالوا مصرّين على منظومة المكائد التي اعتادوا عليها لسنوات عديدة"

التقط الفرعون أنفاسه وأكمل قائلًا:

-وجاءت لي أخبار مؤكدة عن وجود مؤامرة ضدي وقد بدأت منذ 4 شهور مضت، وعلمت أيضًا بل وتأكدت أن هناك مجموعة من الحيثيين تسللوا إلى البلاد وتنكروا في هيئة مصريين وانخرطوا داخل الحياة المصرية حتى أصبحوا كمصريين تماما.

ارتفعت دقات قلب (محمود) للذروة وبدأ يتوتر في وقفته خاصةً بعد ما قال الفرعون:

-بدأ الموضوع بمجموعة من الحيثيين ومعهم أحد الأشخاص الذي -لِحَظِّهِ العسر- وقع في أيدينا، وتم إيداعه أحد السجون عندنا، ولم نكن نعرف ماهيته.

سرت همهمة في الحاضرين وبدأ الحيثيون الموجودون في الحفل بالشعور بالقلق، وأكمل الفرعون:

-ولكن واجهنا أمرًا غريبًا في نفس التوقيت.

نظر الفرعون لشعبه ليرى وقع كلامه على نفوسهم ثم قال:

-وقع في أيدينا شخص غريب الهيئة، ولا يتحدث أي لغة مفهومة، ولا حتى لغة من لغات الحيثيين.

وأشار بيده اليسرى لكبير الوزراء فأشار إشارة ذات معني لرجاله، بعدها أتى مجموعة من الرجال الأشداء وهم يحملون زنزانتين، وتم الكشف عن الزنزانتين في نفس الوقت، فشهق الجميع في عنف، بما فيهم (محمود) نفسه، فقد كانت مفاجأة لم يتوقعها (محمود) على الإطلاق، أبدًا.

***

بالرغم من توقع (محمود) رؤية (حازم) في الحفل، إلا أنه لم يتوقع أن يجد أحدًا بهذا التطابق الفظيع في الملامح، وكأنهما توأم متطابق، حتى (حازم) نفسه لم يصدق نفسه،

فكأنه كان ينظر في المرآة، حتى الغريب لم يتوقع هذه المفاجأة.

بدأت همهمة بين الحاضرين، فقطع الفرعون كل هذا الكلام وقال:

-صمتًا شعبي الحبيب. دعوني أكمل حديثي.

وأدار عينيه في جموع الحاضرين وقال:

-والطريف في الأمر أني علمت موعد تنفيذ مؤامرة الحيثيين الدنيئة.

وأخذ نفسًا عميقًا وقال:

-الآن.

وساد هرج ومرج في المكان وكأن الفرعون أطلق إشارة البدء للجميع في التحرك، وانقلبت الأمور رأسًا على عقب، كلها.

***

كان أول من تحرك هو (محمود)، فقد لمح أحد الرجال الذي رآهم في ذلك المنزل البعيد و هو يتحرك صوب الفرعون، ورآه وهو يستل سيفه و يستعد ليهوى على الفرعون به، لكن (محمود) كان قد أعد لمواجهة مثل هذه مسبقًا، فأخرج من جيبه قنينة صغيرة الحجم لكنها ثقيلة الوزن، وألقاها نحو رأس ذلك المهاجم الأول، فانفجرت

الدماء من رأسه في عنف، إلا أن ذلك لم يثنه عمّا كان ينويه، لكنه تعطل قليلًا مما أعطى الفرصة لأحد الحراس أن يظهر في الصورة أمامه ويشتبك معه في قتال عنيف.

في الوقت نفسه، انقض (بيرشيا) نحو السلسلة المعدنية التي تقيد زنزانة شبيه (حازم) وكسرها وأخرج ذلك الرجل وقال له (بيرشيا): - هيا يا (سومو)، الخطة لم تنته بعد.

رآهم (حور حت) عن كثب، وكان يقف بجواره أحد الحرس، فأخذ حربته وأطلقها صوب (بيرشيا) و(سومو) فأصابت (سومو) في فخذه فسقط وهو يتلوى من الألم في الوقت الذي انقض فيه الحراس على الرجلين وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم.

ومن بعيد كان (أشوريل) مستعدًا بقوسه وسهامه وهو يراقب الموقعة الدائرة بالأسفل، والتي لم يتوقع حدوثها بهذا الشكل، إلا أنه لم يعق خطة فريقه، بل أسرع منها قليلًا ولكنه علم أن (أداد) و(بيرشيا) قد وقعا في الأسر، ولم يتبق سواه لاستكمال الخطة، والتقت عيناه بعيني (محمود) الذي لمحه وهو يستعد لتسديد سهامه نحو الفرعون ولم يمهل (محمود) (أشوريل) الوقت حتى ليسدد بدقة نحو الفرعون فقد صرخ (محمود) قائلًا:

-الفرعون،،،السهام.

وأشار للأعلى فانبطح الفرعون وأحاط به حرسه بدروعهم التي ارتفعت في ثواني وصدت السهم المنطلق نحو الفرعون.

في الوقت نفسه تحرك (محمود) نحو الفرعون ليطمئن عليه وفجأة وجد (نفر) تندفع نحوه وتسقطه أرضًا وسمعها تصرخ باسمه، فقام من الأرض ونظر فوجدها ملقاة على الأرض والدماء تغطي قميصها الجميل وسهم قد انغرس في ظهرها، فنظر للأعلى فوجد (أشوريل) ما زال ممسكًا بقوسه وسهمه، وكأنه قرر ألا يخرج خاسرًا من هذه المعركة، واستل سهمًا جديدًا ليسدده نحو (محمود)

شق الهواءَ صوتُ سهم من جهة أخرى، والتفت (محمود) ليجد أشوريل قد سقط صريعًا ومن الناحية الأخرى وقف (حور حت) وهو يمسك قوسًا وسهمًا قد أخذهما من الحرس بعد إصابة ابنته، لم يضع الوقت وانطلق نحو ابنته ليضمد جراحها وبنظرة الخبير قال: - الوضع ليس بالخطورة الشديدة ولكنه يحتاج إلى إسعاف عاجل.

"شعبي الحبيب"

بصوت قوي هادر، تكلم الفرعون وقال:

-كما رأيتم، كانت مؤامرة وتستهدف فرعونكم ولكنها كانت كلها مكشوفة.

ساد المكان كله صمت مطبق بعد كلام الفرعون الذي نظر نحو (حور حت) و(نفر) وقال:

-أيها الحراس وفروا المكان المناسب للطبيب (حور حت) ليعمل على إنقاذ فتاتنا المصابة.

والتقت نحو (محمود) وقال له:

-نوجه الشكر للشاب المخلص (توت) الذي أنقذ الحفل من الدمار وساعدنا في القبض على المتآمرين.

وقبل أن ينطق (محمود) بكلمة قال الفرعون:

-سنعود إلى الاحتفال ثانيةً ولكن قبل ذلك صديقي الكاهن يوّد توضيح بعض الأمور.

وأشار إلى الحرس الذي أفسحوا المكان للكاهن العجوز، وما إن رآه (محمود) وكذلك (حازم) حتى اتسعت عيناهما في دهشة، لأنهما كانا يعرفان ذلك الكاهن، كان هو العجوز الذي لقياه عند المعبد.

هو بشحمه ولحمه، وبدأ بالحديث، وارتفعت دهشة (محمود) و(حازم) للذروة.

***

عندما التقى الفرعون وذلك الكاهن العجوز دار بينهما حوار قصير وقال فيه الكاهن:

-أعتقد أنك لا تعرفني أيها الفرعون الشاب، ولكن لا أحد يعلم كل شيء وليس كل ما يعرف يكتب.

نظر في عينيه مليًا وقال:

-يا ولدي، تواجه أنت مؤامرة كبرى ضدك تستهدف قتلك وزعزعة الاستقرار داخل البلاد.

رد عليه الفرعون:

-أعرف ذلك يا سيدي، وأعرف أيضًا أن....

قاطعه الكاهن:

-قلت لك "لا أحد يعرف كل شيء"، فدعني أكمل حديثي.

نظر الفرعون نحو العجوز وقال له:

-حسنًا، أكمل حديثك.

أخذ الكاهن نفسًا عميقًا وقال:

-من المؤكد أنك سمعت عن شاب ظهر من الفراغ منذ أربعة أشهر ويرتدي ملابس غريبة، وأن ظهوره سبقه ضوء مبهر غشي المكان الذي ظهر فيه، وأن هناك شاب آخر ظهر بعدها بفترة قصيرة، أومأ الفرعون برأسه إيجابًا دون أن يرد، فأكمل الكاهن وقال:

-هذه تسمى الفجوة الزمنية وقد فتحت بين الماضي والحاضر. وهؤلاء هم زائرو المستقبل.

اتسعت عينا الفرعون في دهشة وكرر:

-فجوة زمنية؟؟

رد عليه العجوز قائلًا:

-بالفعل، وهذه الفجوة ستفتح ثانيةً في هذا اليوم.

وأخذ يقص عليه تتابع الأحداث كلها من حيث تتابع الرموز وكيف تفتح الفجوة، والفرعون يستمع في انتباه شديد، بالرغم من عدم تصديقه.

***

انتهى العجوز من سرد الأحداث، فأشار الفرعون إلى حرسه أن يفكوا قيود (حازم) الذي خرج مندفعًا نحو (محمود) وعانق كلًا منهما الآخر في لهفة وحنين، التفت بعدها (حازم) نحو العجوز وقال له:

-كيف ستخرجنا أيها المأفون من هذا الزمن؟

ابتسم العجوز ولم يرد، ولكن الرد أتى من (محمود) الذي قال:

-لا تقلق يا صديقي العزيز، لدي خطة.

وأخذ يتمتم بكلمات غريبة غير مفهومة، وكان كلامه على هيئة مقاطع، مع كل مقطع ينتهي كانت النيران تشتعل في مكان للشعلة، موجود عند أحد أعمدة المعبد في الطريق نحو قدس الأقداس، التفت الجميع إلى تتابع الشعلات وأولهم (حازم)، وكان قد بدأ لتوه يفهم، الرموز..

وكان قد وصل تتابع الشعلات حتى الرمز الأخير، في الوقت الذي سقطت أشعة الشمس على وجه تمثال الفرعون فانفتح بهو قدس الأقداس في عنف، وهبت رياح شديدة جعلت الجميع يشيح وجهه بعنف، بما فيهم الفرعون نفسه، دوت فرقعة شديدة بعدها، ثم غشي المعبدَ كله ضوءٌ مبهر، مثل الضوء الذي ظهر في بداية هذه الرحلة، خفق قلب (حازم) حين رآها، الفجوة، داخل قدس الأقداس تحديدًا.

اتجه (حازم) في سرعة وحسم نحو الفجوة وتبعه (محمود) و....

"توت"

دوى صوت جهوري فالتفت (محمود) وراءه، فوجد (حور حت) واقفًا وبجانبه (نفر) تستند عليه واقتربا منه، فنظر إلى عينيها فوجدهما ملأى بالدموع، وقالت له وسط دموعها:

-اعتن بنفسك جيدًا.

رد عليها فقال:

-لعل الأقدار تجمعنا يومًا ما.

ربت على يديها مودعًا وعانق (حور حت) ثم أخذ نفسًا عميقًا واتجه وراء (حازم) نحو الفجوة، وبعد برهة ابتلعتهما الفجوة، توهجت الفجوة للحظات ثم خفت بريقها مرة واحدة.

وكأن شيئًا لم يكن، زفر الفرعون قائلًا:

-يا له من يوم عصيب.

وتوقف مرة واحدة كأنما تذكر شيئًا، وتلفت يميناً ويسارًا وسأل نفسه:

-أين ذهب ذلك العجوز؟

والواقع أن بعد ظهور الفجوة، اختفى العجوز تمامًا، ودون أثر.

لم يلق بالًا أو يبدي اهتمامًا أكثر من أنه طلب من الحرس أن يبحثوا عن ذلك العجوز في المنطقة المحيطة بالمعبد بالكامل، وفي نفس الوقت، أشار إلى باقي الرجال باستكمال الحفل، وعاد كل شيء كما كان قبل أن يلقي الفرعون بيانه، وعاد الموجودون بالحفل لاستكمال مراسم الاحتفال، في الوقت الذي أعلن فيه حرس الفرعون عن فشلهم في البحث عن العجوز، وأنهم لم يجدوا له أي أثر.

أضواء عديدة وأصوات قوية دوت في رأسي (محمود) و(حازم) اللذان حاولا الإمساك بأيدي بعضهما طوال رحلة العودة، ولكن باءت المحاولات بالفشل، فانفصل كل واحد منهما عن الآخر وانطلقا في دوامة الفجوة، وأحس كلًا منهما بالتمزق في أوصاله، وفجأة تلاشت كل الأحاسيس مرة واحدة، ووجد (محمود) نفسه ملقى على الأرض، في نفس المكان الذي اختفت فيه الفجوة في أول مرة، ونظر للأعلى فوجد الشمس تتوسط كبد السماء،

واندفع الناس حوله وأحاطوا به، وكان منهم بعض الأصدقاء من الفوج الذي ما إن رآهم (محمود) حتى خر فاقدًا للوعي.

في الوقت الذي أفاق (حازم) ليجد نفسه في مكان خافت الإضاءة، وسمع حوله أصوات متداخلة ولكنها بلغة مألوفة، اللغة العامية المصرية، بدأ يتحسس طريقه في هذا المكان حتى خرج منه فغشاه ضوء الشمس المبهر وتبعه شهقات من الناس في دهشة وعدم تصديق، وكله يتساءل عمّن هذا الشخص الذي خرج من المعبد ومن قدس الأقداس بالتحديد؟؟

نظر في وجوه المحيطين حتى وجد مديره في العمل الذي نظر إليه في دهشة وعدم تصديق، اندفع كلًا منهما نحو

الآخر وارتمى (حازم) في أحضان رئيسه، فقدماه لم تعدوا قادرين على حمله.

قال له المدير:

-استرح يا بني.

وسأله:

-أين (محمود)؟

قبل أن يجيب قائلًا إنهما افترقا في العودة، أتاه الجواب سريعًا:

-معنا يا سيدي، لقد وجدناه في الجانب الخلفي من المعبد.

حمد المدير ربه في سره وقال لـ (حازم) الجالس على الأرض و(محمود) فاقد الوعي:

-حمدًا لله على سلامتكما.

وتكلم موجهًا أوامره لمساعديه:

-اطلب سيارة الإسعاف لنقل هذين الشابين للمستشفى، ولا يغيبا عن عينيك ولو لثانية واحدة.

وتنهد في عمق وهو يقول:

-هذا يكفينا من الأحداث الغريبة لهذا العام.

قالها وهو لا يعلم أيًا من الأحداث الغريبة، على الإطلاق.

في مساء ذلك اليوم، تناقلت وسائل الإعلام المصرية خبر عودة (حازم) بروايات متعددة عن غرائب وأحداث تعامد الشمس على وجه (رمسيس الثاني) خاصةً أن التعامد الأول كان معه أحداث مشابهة من ضوء مبهر وصرخة قوية ثم هرج ومرج داخل المعبد.

والتعامد الثاني صاحبه دوي عنيف ثم خروج شخص في هيئة رثة ويندفع نحوه أحد المتابعين للحدث ويأخذه جانبًا ثم تأتي سيارة إسعاف وتنقله لأحد المستشفيات القريبة.

أغلق المدير التلفزيون وقال لـ (محمود) الذي استعاد وعيه:

-حمدًا لله على سلامتك يا بطل، كما وعدتني.

ابتسم (محمود) وقال:

-أنت تعرفني، لا أعد إلا بما أستطيع القيام به.

تابع المدير:

-سأتركك تستريح، وغدًا سنأتي جميعًا لزيارتكما.

اتجه المدير بعدها إلى غرفة (حازم) وألقى عليه التحية وأغلق وراءه الباب تاركًا (حازم) يستعيد ذكريات الشهور الأربع المنصرمة حتى غلبه النوم.

في اليوم التالي، نهض كلا من (محمود) و(حازم) في حيوية، ومازالت الأحداث عاقة بأذهانهما، وما زالا لا يصدقان بعضًا منها، وبعد فترة وجيزة، أتى أصدقاؤهما من الشركة السياحية التي يعملان بها، وجاء المدير ومعه ابنته التي كانت ترافقه في هذا الفوج، دخل المدير حجرة (محمود) وألقى عليه التحية، وكان معه (حازم) في نفس الحجرة، وتبعت المدير ابنته التي ما إن رآها (محمود) حتى ألجمت الدهشة لسانه، فقد كانت تشبهها بشدة، تشبه (نفر).

وتذكر جملته حين ودعها "لعل الأقدار تجمعنا في يومٍ ما"

ابتسم من أعماقه وطفت هذه الابتسامة على شفتيه وهو ينظر إلى عيني الفتاة، ابتسمت بدورها وسأله (حازم:(

-لماذا تبتسم؟

ازدادت ابتسامته وهو يقول:

-لا شيء، تذكرت (حور حت) و(نفر) وكل الأحداث التي جرت طيلة الأشهر الماضية.

شاركه الابتسام وقال:

-فعلا، ويا لها من رحلة، فعلا إنها رحلة الماضي.

انضمّا للأصدقاء الذين أتوا لزيارتهما وانغمس كلٌ منهما في الحفل، وضحكا من قلبيهما بعد إحساسهما بالتعافي من آثار الرحلة، رحلة مع الفرعون.

***